مجلة الرائد

العدد : ١٩٤ الموافق في جمادى الثانية ١٤١٨ هجري ١٩٩٧/١١ ميلادي

عنوان المقال : { إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } -١-	بقلم : د. موفق الحكيم

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المعجز ، المنزل على خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ ، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام ، المنقول بالتواتر ، والمتعبد بتلاوته ، المكتوب في المصاحف ، والمحفوظ في الصدور. أنزله الله تعالى دستوراً للأمة ، وهداية للخلق ، وآية صدق على نبوة محمد ﷺ وحجة قائمة إلى يوم الدين ، ومعجزة خالدة تتحدى الأجيال على كرّ الزمان ومرّ الدهور.

ولقد اهتم السلف الصالح بالقرآن الكريم ، فانكبوا عليه إنصاتاً واستماعاً ـ قراءة وتدبراً ، علماً وعملاً وتعليماً ، واتخذوه دستوراً ومنهجاً وشريعة ، ففازوا بسعادة الدارين ، ورضوان الله عليهم يوم الدين ، وسادوا العالم يوم أن حكموه ، واستأسروا القلوب والنفوس يوم أن تدبروه وارتقوا سلم الحضارة يوم أن رفعوه.

أما الخلف وللأسف فقد هجروا الإنصات إليه ، وهجروا قراءته وتدبره ، وهجروا علمه وتعليمه ، وهجروا اتخاذه دستوراً ومنهجاً وشريعة ، فآلت أحوالهم إلى ما نراه اليوم حيث أعرضت عنهم العزة والسيادة يوم أعرضوا عنه ، وتجهمت لهم الكرامة والسعادة يوم تجهموا لأحكامه.

١ـ هجروا الإنصات إليه !

الاستماع في اللغة : الإصغاء ، وهو مصدر الفعل استمع ، يقال : استمع فلان إلى القرآن : قصد إلى سماعه . فالسماع يكون بقصد وبغير قصد ، ولا يكون الاستماع إلا بالقصد. وقد وردت بعض مشتقات الاستماع في القرآن وذلك في قوله تعالى مخاطباً موسى عليه السلام { **وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى** } [مجموعة السفير: ج١٥-١٦ ص ١١٩٤-١١٩٥].

ولقد فهم السلف الصالح قوله تعالى : { **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** }[الأعراف:٢٠٤]. فكانوا ينصتون لقراءة القرآن ، ويستمعون إليه وقلوبهم مليئة بالخشية ، وعقولهم تتدبر معانيه ، وتعيش ألفاظه ، وجوارحهم تسكن في مواضع السكون وتتفاعل رهبة أو رغبة في مواضع الترهيب والترغيب. ولأنهم أدركوا أن الإنصات والاستماع إليه سبيل إلى نيل رحمة الله ، كما يقول الفقيه العظيم الإمام الليث بن سعد : ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن الكريم ، لقوله تعالى : { **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** } ، يقول الإمام : ولعلها من الله واجبة.

عنوان المقال : { إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } -١-	بقلم : د. موفق الحكيم

ومما يساعد على الإنصات من جهة القارئ تحسين الصوت أثناء التلاوة ، عن البراء بن عازب قال : « سمعت رسول الله ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه » [متفق عليه]. وجاء أيضاً في الحديث الشريف : « إن من أحسن الناس صوتاً في القرآن من إذا سمعتموه حسبتم أنه يخشى الله » وروى البراء بن عازب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم » [رواه أبو داود] ، وعن أبي لبابة بشير بن عبد المنذر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « من لم يتغن بالقرآن فليس منا » [رواه أبو داود بإسناد جيد]. والمقصود هنا تحسين الصوت بدون تلاعب بالحروف أو خروج عن أحكام التجويد ، أو محاكاة لأصوات المغنين وإلا ضاع الخشوع المطلوب في التلاوة.

إن التغني في التلاوة وتحسين الصوت هو الذي يجعل المسلم عندما ينصت إلى القرآن يتأثر به ويتفاعل معه ، حيث يجتمع هنا حسن الصوت وجودة الترتيل مع معاني القرآن العظيم ، فتتأثر النفوس والمشاعر ، ويخشع القلب والجوارح ، أما عندما يصبح الغرض - كما يفعل وللأسف بعض المقرئين في هذه الأيام - إثارة الطرب وإحداث النشوة كما يفعل بعض المغنين والمطربين ، وليس توصيل معاني القرآن والتأثر بمعانية ، وعندما تصبح قراءة القرآن لحناً وليس ترتيلاً ، وطرباً وليس خشوعاً ، عندما يصبح هم السامع الانشغال فقط بصوت القارئ وعدم تدبر المعنى ، فهذا هو الغناء وهذا لا يجوز . يقول الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله في " هكذا علمتني الحياة " : « تأثير القرآن في نفوس المؤمنين بمعانية لا بأنغامه ، وبمن يتلوه من العاملين به لا بمن يجوده من المحترفين به ، ولقد زلزل المؤمنون بالقرآن الأرض يوم زلزلت معانية نفوسهم ، وفتحوا به الدينا يوم فتحت حقائقه عقولهم ، وسيطروا به على العالم يوم سيطرت مبادئه على أخلاقهم ورغباتهم ».

وأما في هذا الزمان فكيف يمكن أن نفسر ارتكاس وتفاعل بعض السامعين لبعض القراء وهم يتلون عليهم آيات العذاب وصور الحميم مثل قوله تعالى : { **خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه** }. كيف نفسر ارتكاسهم بإطلاق الصرخات تلو الصرخات والصيحات بعد الصيحات : الله... الله ، أعدْ... أعدْ ؟! بدلاً من أن تخشع قلوبهم ، وتذرف عيونهم ، وترتجف أوصالهم !! بينما كان بعض السلف الصالح يكاد يغشى عليه بل يصاب بالإغماء لعدة دقائق أو ساعات

مجلة الرائد

العدد : ١٩٤ الموافق في جمادى الثانية ١٤١٨ هجري ١٩٩٧/١١ ميلادي

عنوان المقال : { إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } -١-	بقلم : د. موفق الحكيم

عندما تُقرأ عليه آيات الوعيد والعقاب والترهيب... بل كيف نفسر صراخ وصيحات أمثال هؤلاء المستمعين عندما تتلى عليهم آيات المحيض !!!

نعم ؛ لقد أصبح سماع القرآن الكريم عند بعض الناس كسماعهم للأغاني والألحان ، يطربهم الصوت ، وينشيهم اللحن ، وتسحرهم الحناجر ، ولا يبقى هناك دور لفهم المعاني أو تدبر الألفاظ ، والأدهى من ذلك بل والأمر أن هناك من ينادي بين فترة وأخرى أن يلحن القرآن الكريم !!! ولا بأس أن يرافق ذلك بعض المعازف !!!.

إنه يجب على السامع أن يستمع وينصت ويخشع بقلبه وجوارحه ، وأن يحاول ما أمكن أن يتجنب التعليق على التلاوة بعبارات عنده ، وأن يمتنع في مجالس القرآن عن الشراب والطعام ، والكلام والضحك ، وألا يستخفه حسن الصوت فيخرجه عن وقاره وآدابه ، وأما ما نراه اليوم وللأسف الشديد فهو الاستماع إلى القرآن الكريم في المقاهي والملاهي والناس يلهون ويشربون ويأكلون ، بل ويقتلون الوقت -كما يقولون - بلعب النرد والورق والشطرنج ، ويرسلون بين الحين والآخر الصيحات والصرخات ، وبين الفينة والأخرى القهقهة والضحكات... ويظنون حقاً أنهم يستمعون إلى القرآن الكريم !!! يقول الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله في " هكذا علمتني الحياة " : « خير من ألف إذاعة تتلو القرآن على المسلمين بأعذب الأصوات صباح مساء إذاعة واحدة يتلى فيها القرآن الكريم بآدابه من قلب خاشع يستمع إليه المسلمون بقلوبهم وعقولهم ساعة واحدة في كل أسبوع ».

نعم ؛ لقد كان الإنصات والاستماع إلى القرآن الكريم يعمل عمله ، ويفعل فعله في النفوس التي تفهمه والعقول التي تتدبره والقلوب التي تلين وتخشع له ، لقد كان الإنصات إليه يؤثر في نفوس المؤمنين بل والكافرين أيضاً ، كما أثر في الملائكة والجن ، فلماذا لا يفعل فعله في نفوس المسلمين ولماذا لا يؤثر فيهم كما أثر في السابقين ؟!

❋ لقد تحول سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه من أعدى أعداء المسلمين إلى أقرب المقربين من الله ورسوله بعدما تأثر بآيات الله تتلى عليه من سورة طه ، لقد دخل على أخته وزوجها والشرر يتطاير من عينيه ، ينوي قتلهما ، وما لبث حين سمع كلمات الله تتلى عليه - وهو المعروف في الجاهلية بأنه كان أفضل من يتذوق لغة العرب وأشعارهم - ما لبث حينئذ أن هدأت ثورته ، وذهب غضبه ،

عنوان المقال : { إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } -١-	بقلم : د. موفق الحكيم

وسكن غليانه ، وذهب إلى الرسول محمد ﷺ لا ليقتله بل ليبايعه.

❋ وأما عتبة بن ربيعة ، أحد صناديد قريش ، فكان معروفاً عنه أنه حلو الحديث ، بليغ المنطق ، قوي الحجة ، أرسلته قريش إلى رسول الله ﷺ ليحاجه وكانت تظن أنه سوف يلحق بالقرآن بعض الشنآن ، أو يحيط به بعض الريب ، فلما استمع إلى سورة حم السجدة ، ووصل إلى مسامعه قوله تعالى : { **فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** } دارت به الأرض وتهدم كيانه وغاب وعيه وإدراكه ، وأيقن أن قيامته قامت ، فقال له عثمان بن مظعون : لتعلموا أنه من عند الله.

❋ وقصة الوليد بن المغيرة معروفة ، عندما استمع إلى القرآن فقال لقريش : ماذا أقول فيه ، فوالله ما منكم رجل أعلم مني بالشعر ولا برجزه ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليحطم ما تحته ، وإنه ليعلو وما يعلى عليه.

❋ وقصة المشرك الذي سمع قوله تعالى : { **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** }. فما لبث ذلك الأعرابي حين سماع هذه الآية الكريمة أن خرّ ساجداً ، فقيل له : لم فعلت ذلك ؟ قال : سجدت لبلاغة هذا الكلام.

لقد عرف عرب الجاهلية وكفار قريش مدى تأثير وقع كلام الله في النفوس ، ولذلك كانوا يتعاهدون على أن لا يحضروا مجلسه ولا يملؤون منه أسماعهم ، ومع هذا كانوا يحنثون من قرب ويتسللون في جنح الظلام للاستماع إليه ، وبعد ذلك تعاهدوا فيما بينهم على أن يحاولوا بكل الطرق والوسائل سدّ المنافذ التي تؤدي لسماع العرب وأهل القبائل لكلام الله المعجز ، فأخذوا يلجؤون إلى وسائل التشويه لكل ما تفتق عنه مكرهم وخبثهم ، قال الله تعالى فيهم : { **وقال الذين كفروا لا تستمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** }[فصلت:٢٦] . يقول الشهيد سيد قطب في " الظلال " : « كلمة كان يوحي بها الكبراء من قريش أنفسهم ويغرون بها الجماهير وقد عجزوا عن مغالبة أثر القرآن في أنفسهم وفي نفوس الجماهير ، فهو كما كانوا يدّعون يسحرهم ويغلب عقولهم ويفسد حياتهم ويفرق بين الوالد وولده والزوج وزوجه... ولقد كان القرآن يفرق نعم ولكن بفرقان الله بين الإيمان والكفر ، والهدى والضلال... كان يستخلص القلوب له فلا تحفل بوشيجة غير وشيجته ، فكان هو الفرقان ». ويتابع

مجلة الرائد

العدد : ١٩٤ الموافق في جمادى الثانية ١٤١٨ هجري ١٩٩٧/١١ ميلادي

عنوان المقال : { إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } -١-	بقلم : د. موفق الحكيم

رحمه الله : « والغوا فيه لعلكم تغلبون... وهي مهاترة لا تليق ، ولكنه العجز عن المواجهة بالحجة والمقارعة بالبرهان ، ينتهي إلى المهاترة عند من يستكبر على الإيمان ولقد كانوا يلغون بقصص اسفنديار ورستم كما فعل مالك بن النضر ليصرف الناس عن القرآن ، ويلغون بالصياح والهرج ، ويلغون بالسجع والرجز ، ولكن هذا كله ذهب أدراج الرياح وغلب القرآن لأنه يحمل سر الغلب إنه الحق ، والحق غالب مهما جبهه المبطلون ».

وما نراه في يومنا الحاضر ليس بعيداً كل البعد عما يفعله كبراء قريش وكفارها ، فبعد ما أدرك أعداء الإسلام ممن يحاربون علناً وجهرة ، أو ممن ينتمون إليه اسماً ويحاربونه سراً ، بعد ما أدركوا أنه لا وسيلة لتغيير القرآن أو تبديله أو تحريفه فهو محفوظ من عند الله : { **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** } لجؤوا إلى الوسائل الماكرة والأساليب الخادعة ليحجبوه عن الأسماع والعقول والقلوب ، فهم من جهة يحاربون اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، وينادون بإحياء اللغات العامية وتدريس اللغات الأجنبية بحجة أن اللغة العربية عاجزة - كما يزعمون ويفترون - عن اللحاق بركب الحضارة الحديثة والتقدم العلمي ، وهم يدركون كل الإدراك أن مفتاح فهم القرآن وتدبر معانيه يكمن في فهم اللغة العربية والاطلاع على ما فيها من جمال وإعجاز وبلاغة ، يلجؤون في ذلك أيضاً لمحاربة دروس اللغة العربية والديانة الإسلامية وتقليص ساعات تدريسها ، لجؤوا في ذلك إلى الفن الرخيص حيث لم يعد هم لبعض الأفلام أو المسلسلات أو المسرحيات إلا في السخرية والاستهزاء من مدرسي اللغة العربية والإسلامية ، كما لجؤوا أيضاً إلى إغلاق المدارس الشرعية والكتاتيب التي كانت تساعد الأطفال الصغار على حفظ القرآن الكريم .

ومن جانب آخر اقتصروا في الإذاعة المرئية والسمعية على دقائق معدودة لتلاوة القرآن الكريم - في حالات نادرة لعدة ساعات وذلك عند وفاة أحد الزعماء أو الملوك !!! - والأنكى من هذا والأدهى أن بعض الإذاعات امتنعت عن السماح بتلاوة بعض الآيات أو السور القرآنية التي تتعرض ليهود ، وتكشف زيف يهود وحقد يهود ، بحجة عدم تشويش مسيرة " السلام " !! وبعض الإذاعات المرئية تنقل بعض الشعائر الدينية أو أذان الصلوات مع قراءة قليلة للقرآن وذلك في أثناء عرض بعض المسلسلات التافهة أو الأفلام الرخيصة ، وليس من النادر أن يسبق أو يعقب قراءة القرآن أغنية ماجنة أو قصة

فاجرة !!.

ومن جانب ثالث يحاولون التشويش والتشويه بتسخير بعض الأقلام الرخيصة والمأجورة في نشر بعض الكتب أو المقالات في تفسير وتأويل بعض الآيات أو الأحداث بما يعارض نصوص القرآن والسنة الصريحة ، وذلك لترضي أصحاب السلطان. محاولات عديدة متعددة يحاول بها المفسدون حجب القرآن عن الناس لكي لا يبصرهم وينذرهم ، ويحاولون صمّ الآذان عن سماعه حتى لا يمتلك القلوب ويجتذب النفوس ، ويحاولون إقصاءه عن المسلمين حتى لا يتدبروه ويدركوا الحق من خلاله ، ويجدوا النور والهدى فيه ، إنهم يحاولون أن يسدوا السبل في وجه المسلمين ليصرفوهم عن القرآن العظيم حتى لا يجعلوه دستور حياتهم ومنهاج طريقهم وإمامهم في الدنيا ، ولكنهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

ومن جانب آخر ، فإنه يجب على المسلمين الواعين والملتزمين والحريصين على نصرة إسلامهم وقرآنهم أن لا يكتفوا بردود الفعل ، وبالارتكاسات الحماسية والاندفاعات غير الملتزمة ، بل يجب عليهم أن يسعوا إلى مواجهة الباطل ومجابهة قوى الضلال بكل ما أوتوا من إخلاص ووعي ومعرفة وعلم وإدراك وثبات على الحق ، إننا بحاجة كما يقول الأستاذ محمد الصباغ في " تذكرة الدعاة " : " إلى طليعة تحيا للقرآن ووفق أحكامه ، لا يكون القرآن في حياتها نغماً يطرب له السامعون ، ولا تراتيل تفتتح بها الحفلات ، ولا تعاويذ تقرأ في المآتم ، واحذروا يا عباد الله من أن تكونوا ممن يقرأ القرآن ، والقرآن يلعنه ».